المحاضرة السابعة: أدب المقامة

1–تعريف المقامة :

أ–لغة :يحيل الجذر اللغوي للمقامة على المجلس، أو على جماعة من الناس [1]لا تحيل كلمة مقامة على المجلس مباشرة بل على الأحاديث التي تلقى فيه. [2]

ب–اصطلاحا :و كانت تلك الأحاديث خاصة بأمور الدين واللغة والوقائع التاريخية ، وأخبار العرب، والوقائع التاريخية .ثم أصبحت تدل على نوع خاص من الحديث استقام في شكل أدب هو المقامة؛ بحيث أصبح لها شكل مميز له قواعده الخاصة التي تقوم على قسمين إسناد و متن. شأنها شأن الحديث.

وأصبحت المقامة بناء على هذا الشكل فنا قصصيا يرتبط بأحداث متخيلة يقدمها راو متخيل وتتميز بوجود بطل يسير أحداثها لذلك فالمقامة تحتوي على مكونين مركزيين: هما الراوي والبطل ، فهما يدلان على نوع المقامة بصفة خاصة. [3]

و تنوعت أغراض المقامة بحسب العصور، فقد ارتبطت في بدايتها بالوعظ والإرشاد ثم تحولت إلى أغراض التطفيل والكدية ثم أصبحت وسيلة للوصف والمدح والتعليم ، وغير ذلك .[4]

و تعود البدايات الأولى لفن المقامة إلى مجموعة من الأعمال التي اهتمت بفن الخبر ، منها كتاب المكافأة لأحمد بن يوسف الكاتب (340–951)، و كتاب "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة"، وكتاب الفرج بعد الشدة للتوخي ، و كذلك كتاب حكاية أبي القاسم البغدادي أبي المطهر الأسدي ، وتضمنت تلك الكتب حكايات قدمها راوي ما بوصف مشاهد رحلة كان يقوم بها البطل.

---

[1]- ينظر الصحاح، والقاموس المحيط ، والمعجم الوسيط مادة (ق و م).

[2]- شوقي ضيف ، المقامة.

[3]–بتصرف مأخوذ من كتاب عبد الله إبراهيم ، السردية العربية، ص 175.

[4]–عبد الله إبراهيم ، السردية العربية ص 176.

و يمكن ذكر أيضا رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، وكذلك رسالة الغفران لأبي العلاء المعري؛ فهذان الأثران ظهر أيضا في القرن الرابع الهجري، وكان يتصلان بالموروث الديني .و قد قامت بنية الكتابان على وجود راو وبطل و حكاية.

وتشبه بنية الرسالة القائمتان على الرحلة الكتب سابقة الذكر ، لقد تزامنت هذه الجهود القصصية مع عصر ظهور المقامة " في هذا المناخ القصصي بزغت المقامة نوعا قصصيا جديدا ذوبت فيها كثيرا من كشوفات العصر في مجال السرد ، وفي مقدمة ذلك اعتمادها على الراوية الجوال الذي يلازم بطلا رحالة .و بواسطة المناقلة الشفاهية للوقائع التي عاشها. يتكون متن المقامة الذي من مميزاته الأساسية أنه يتضمن حكاية محبوكا حبكا فنيا متماسكا "[5]

2-الريادة الإبداعية لفن المقامة:

يمكن الحديث عن أربع طبقات من كتاب المقامات"

- الطبقة الأولى يمثلها النوري الصوفي (295- 907) ، وابن بسام (303 -944).
- الطبقة الثانية الهمذاني (398- 1007)، وابن نباتة السعدي(405- 1014).
- الطبقة الثالثة ابن بطلان (460 - 1067) ، وابن ناقيا (485- 1090).
- الطبقة الرابعة الغزالي(538 -1143) ، والحريري(516- 1122) ، والزمخشري (538 1143)

وقد أكد الحريري على أن بديع الزمان الهمذاني مبتدع فني المقامات على الرغم من وجود كتاب سبقوه في ذلك ، وليس ذلك " طبقا لمعيار التاريخ بل انطلاقا من معيار الإبداع" [6]وقد وجد من الدارسين من نفى ريادة الهمذاني الإبداعية ، ونخص بالذكر هنا زكي مبارك في كتابه النثر الفني في القرن

---

[5]- عبد الله إبراهيم ، السردية العربية ، ص182.

[6]- عبد الله إبراهيم السردية العربية ص 183

الرابع ؛ حيث ذكر أن ابن دريد اللغوي المعروف هو مبتكر فن المقامات ، ويذكر عبد الله إبراهيم " أن كل منهما كان يعمل في حقل من حقول التعبير يختلف عن الآخر، و فيما كان الأول يهدف إلى إقرار حقائق لغوية كي تندرج في سياق الوقائع التاريخية للمرويات اللغوية .كان الثاني يبتدع نوعا قصصيا جديدا قيض له أن يستأثر بعناية اللاحقين ، وأن يتصف بثبات في مكوناته بنيته السردية زمنا طويل" [7]

3–بنية المقامة:

" إن البنية المميزة للمقامة كما وضع أسسها الهمذاني اتصفت بأنها استندت إلى ركنين مهمين أولهما راو ينهض ب بمهمة إخبارية محددة .وثانيهما بطل ينجز مهمة واضحة. ومن خلاصة تفاعل الراوي والبطل يتكون من الحكائي قوامه الرواية و والحكاية ولقد حافظ الحريري على نمط العلاقة التي أوجدها الهمذاني بين الراوي والبطل وجاراه في ذلك. لقد أقر عدد من كتاب المقامة بالأهمية الاستثنائية التي مثلها الحريري في تاريخ المقامة بعد رائدها الهمذاني، لم يقتصر أمر ترسم خطى الحريري على القدماء بل ترسمها المحدثون أيضا، ومن أكثرهم التزاما بذلك اليازجي(1288 1871)[8].

ولقد خرج غير كثير من كتاب المقامة عن البنية التقليدية للمقامة "كانت أوضح محاولات عدم الالتزام بقواعد المقامة قد جاء بها ابن ناقيا ، إذ لم يلتزم براوي محدد. و إن التزم ببطل واحد فيها هو اليشكري ، مما أفضى إلى بروز مظهر من المظاهر الجديدة تمثل بإمكانية تعدد الرواة في المقامة .أما مقامات الغزالي فما هي إلا مرويات إخبارية لا تندرج في نوع المقام ، وهي تجاري أخبار الزهاد والأدباء في نصحهم الملوك والخلفاء والأمراء والولاة." الرجع نفسه س 1[9]

---

[7]- المرجع نفسه ، 185

[8]- عبد الله إبراهيم ، السردية العربية ، ص 187

[9]عبد الله إبراهيم ، السردية العربية، ص 187

ثم تلتها مقامات الزمخشري في القرن السادس للهجرة و استغنى فيها عن البطل، وتم استبداله براو يخاطب نفسه، وهو أبو القاسم الذي حول الحكاية إلى مناجاة اعتبارية النفس، وتفتقر مقامات الزمخشري إلى مكونات البنية السردية للمقامة.[10]

كما لم يلتزم ابن الجوزي في مقاماته بقواعد المقامة التقليدية ، وقد جعل الراوي البطل الذي سماه أبا التقويم رمزا للعقل ، وجعله مقترنا بظهور راوي مجهول قبله.

وقد كتب الشاب الظريف (شمس الدين ابن عفيف التلمساني) مقامة أيضا براو واحد و ثلاثة أبطال كل واحد يحكي حكاية للراوي" .كما كتب السيوطي ، والخفاجي، والكريدي ، والشيرازي مقامات أيضا" .[11]

ولم يهدف هؤلاء إلى تقديم أعمال فنية خالصة ، بل إن نصوصهم كانت تعبر عن قضايا و مواقف ذاتية ، و أصبحت المقامة عند المتأخرين كالشدياق و الأنصاري وسيلة للدرس اللغوي وكان هدفها تعليميا عندهم.

---

[10]- المرجع نفسه، ص 188

[11]- المرجع نفسه،ص 189.